

رسائل في الإجازة

الحمد لله، الحمد لله الذي خلق النفس وبين حَقَّها في الترويح، أحمده سبحانه: وأشكره على كل خير وفضل، وأسأله السلامة من كل فعل قبيح وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له في كل شيء آية ينطق بها هذا الكون الفسيح، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، دعا إلى الله وأنار لنا به الطريق المسبوق المسمى بتقييم الصحيح
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
أما بعد

أيها المؤمنون بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد عليه الصلاة والسلام رسولاً ونبياً، يقول ربكم تبارك وتعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:104]. ويقول عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْأَكْتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْيُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:110].

هذا المدح، وهذا الثناء لأمة محمد عليه الصلاة والسلام، لأنها أمة ربانية، أمة خالدة، تحب الخير وتدعو إليه، وتبغض الشر وتنهى عنه، أما أن تعيش الأمة هائمة عمياء، لا أمر بمعروف، ولا نهى عن منكر، فحينئذٍ تنقلب الموازين، وتختلف المقاييس، فينقلب المدح قدحاً، وتنقلب الخيرية إلى لعنة من الله، كما حصل ذلك في بني إسرائيل ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة:78]. لماذا هذه اللعنة؟! ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ هل هذا هو سبب اللعنة فقط؟! لا ﴿كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة:79]. عطلوا وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يرى أحدهم صاحبه في المنكر فلا ينهاه، ولا يرشده، وحينئذٍ تقع لعنة الله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لعنوا في التوراة والإنجيل والزبور وفي الفرقان) - يعني القرآن- فلا إله إلا الله، ما أشد تلك اللعنة، على من رأى منكراً فلم ينكره، أو ينه عنه، ويحذر منه.

روى الإمام أحمد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي؛ نهتهم علماءهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم، وواكلوهم، وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود، وعيسى ابن مريم، ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾)).

وروى أبو داود عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل، كان الرجل يلقي الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد، فلا يمنعه ذلك، أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال: ﴿لُعِنَ

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿المائدة: 78﴾

ثم قال: كلا والله، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، أو تقصرنه عن الحق قصراً)).

والأحاديث في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جداً، منها قوله عليه الصلاة والسلام: ((والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعنه، فلا يستجاب لكم)).

: أيها الأحبة

ومن منطلق هذه الأحاديث، وهروباً من ذاك الوعيد، كان لزاماً علينا، أن نأتمر بالمعروف، ونتناهى عن المنكر، كل بحسب حاله، ألا وإن من مواسم المنكرات، كما هي مواسم للطاعات، مواسم الإجازات، فها نحن نطرق الأبواب لإجازة الربيع، ومنها أوجه الرسالة التالية بهذه المناسبة:

أيها الأحبة:

كم هو مبهج أن يرتاح الإنسان بعد كد، وأن يتنفس بعد عناء، ولكن المؤمن الصادق مع ربه يعرف كيف يرتاح ومتى يتنفس، بعمق المؤمن الحق ليس له راحة في هذه الدنيا، حتى يطأ بقدميه جنة عرضها السماوات والأرض، أما ما دام في هذه الدنيا، فهو في ابتلاء وامتحان، شعاره ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:99]. اعبده مخلصاً في عبادته، اعبده صادقاً في عبادته، اعبده طالباً لجنته، اعبده كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك، ووالله لو عبدت الله ألف سنة ما عصيته فيها طرفة عين، ما أديت شكر نعمة واحدة من نعم الله عليك، كيف بك لو علمت بأن لله ملائكة ركعاً سجداً، يعبدون الله في كل ثانية، ويدعونه، ومن دعائهم قولهم: سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك.

قال عليه الصلاة والسلام: ((أطت السماء وحق لها أن تتهط، ما من موضع أربع أصابع، إلا عليه ملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى)) فلا بد من التنافس في الطاعات فاستبقوا الخيرات .

لكن لا بأس من التزود بحلال الدنيا ليساعد على التزود للآخرة، وهذه هي نظرة المؤمن لهذه الإجازة، ولذلك فالناس في هذه الأيام منقسمون إلى قسمين:

قسم عرف أن هذه إجازة وضعت بعد عناء فصل دراسي فأخذ أبناءه إلى رحلة لطيفة مباحة بعيدة عن الشبهات والمعاصي أو أخذ أبناءه إلى بيت الله الحرام أو إلى مسجد الحبيب صلى الله عليه وسلم واستغل إجازته في طاعة الله وتقرب إلى الله، فنعم القوم هم، وبارك الله في ابن تذكرو والده أو والدته فزارها في هذه الإجازة، أو قريب تذكرو رحمه في هذه الأيام فوصلها، فكسب بذلك الحسنَى ((من أحب أن يبسط له في رزقه و ينسأ له في أثره فليصل رحمه)).

وقسم آخر عرف أن هذه إجازة أيام وتنقضي، فنكس حساباته، وأعمى بصيرته، فقضاها في الحرام، ضياع ولهو وفجور، وعن ذكر الله سهو، خرج إلى حيث اختلاطات البشرية، وانكشاف محارم الناس، أضاع دنياه وأخراه، أو ذهب إلى فضائل الأعمال، وقد عق والديه، وقطع رحمه، وأفسد أهله وعشيرته، فمثل هذا، أنقل له بشرى من هذا المكان الطاهر، بلعنة الله الماحقة لأعماله ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد:22-23].

أصمهم وأعمى أبصارهم، فيسمعون المواعظ، ولا يتعظون، والزواجر فلا ينزجرون، كأن الكلام لا يعنيه، وكأن الموت لا يأتيهم، تالله ووالله إنهم لفي ظلمات يعمهون، وفي ضلالة يسيرون، دعاؤهم لا يستجاب، وبرهم لا يرفع، وقلوبهم لا تخشع، كأنما أشربت قلوبهم الدنيا فصارت لهم زاداً وشراباً، وكأنما نسوا المرجع إلى الله، فكانوا لا يرجون حساباً، ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا ۖ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا] [النبا:39-40].

: فيا أيها المؤمنون

أيام العمر قليلة، وأقل منها أيام الإجازة، ووالله إنها لشاهدة لكم أو عليكم فاعمروها بالطاعات، قبل أن تهدمكم بالسيئات، وانقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

الرسالة الثانية:

إلى عصب الأمة وشريرانها النابض، إلى من يؤمل فيهم كل خير، ويرجى منهم كل نفع، إليك أيها الشاب

أخي الشاب :اسمح لي أخي أن أخطب فيك عقلك الواعي وقلبك الحافظ، كل منا أنا أو أنت وغيري وغيرك، قد جعل لنفسه قدوة على اختلاف النظرات، فمننا من جعل قدوته حبيب القلوب محمد عليه الصلاة والسلام، ومننا جعل قدوته مطرباً أو لاعباً أو لاهياً أو غير ذلك، فهل قدوتك في ذهنك سينفعك بعد موتك؟! هل سيشفع لك عند الله ويجادل عنك حتى يدخلك الجنة؟! أم أنك ستعجب به الآن وتستمتع لغنائه، وتعجب بحركاته وسكناته، ثم يوم القيامة، يلعن بعضكم بعضاً، وتتسابون بين يدي الله .. إنني أدع الإجابة لك لأنني متيقن بأن الله سيهديك...للصواب

أخي الشاب: لا تضيع وقتك خلال الإجازة في قيل وقال، وفي لهو ولعب، فأمتك تنتظر منك أعلى من ذلك،

أيها المؤمنون: رسالة عامة إلى كل مسلم حدث منه تعلق بالدنيا، وانغرار بزخرفها [الزائل، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:185].

تفكر يا مغرور في الموت وسكرته، وصعوبة كأسه ومرارته .. فيا للموت من وعد ..

حق ما أصدقه .. ومن حاكم ما أعدله .. كفى بالموت مقرحاً للقلوب، ومبكياً للعيون ومفرقاً للجماعات .. وهادماً للذات.. وقاطعاً للأمنيات

اسمع لنداءات صادقة من أخ لك يحب لك الخير، إنه أبو الدرداء رضي الله عنه، إنها نداءات تفرع قلب المؤمن قرعاً، ينادي عند احتضاره، ويقول: (ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا !! ألا رجل يعمل لمثل ساعتني هذه !! ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا!!)

: أيها الأخ

لو أنك أخلفت موعداً مع مخلوق لاستحيت من مقابلته، فكيف تعصي الله وتقابله ،، وقد أخلفت مواعده وعصيته

: إخواني

كيف الأمن والراحة والاعتزاز بالدنيا، وهذا الفاروق يقول: (لو أن لي طلاع الأرض ذهباً وفضة، لافتديت بها، ولما طعن رضي الله عنه، قال لابنه: ضع يدي على خدي على التراب فوضعه، فبكى، حتى لصق الطين بعينيه وجعل يقول: .. ويلى وويل أمي إن لم يرحمني ربي..).

فهل تفكرت يا ابن آدم في يوم مصرعك، وانتقالك من موضعك، وإذا انتقلت من سعة إلى ضيق، وخانك الصاحب والرفيق وهجرك الأخ والصديق .. وأخذت من فراشك وغطائك إلى قبر، وغطوك بعد لين بتراب وقدر، فيا جامع المال، والمجتهد .. في البنيان، ليس لك والله من مال إلا الأكفان

مثل وقوفك يوم العرض عرياناً مستوحشاً قلق الأحشاء حيراناً

النار تلهب من غيض ومن حنق على العصاة ورب العرش غضباناً

اقرأ كتابك يا نفس، ي على مهل فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا

لما قرأت ولم تنكر قراءته إقرار من عرف الأشياء عرفاناً

نادى الجليل: خذوه يا ملائكتي وامضوا بعبد عصى للنار عطشاناً

المشركون غدأ في النار يلتهبوا والمؤمنون بدار الخلد سكاناً

فاعلموا عباد الله أنكم تقطعون بأيامكم هذه مراحل إلى المستقر الأخير، ووالله ليس بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، كم كانت النفوس متشوقة لهذه الإجازة،
فها هي تعيشها الآن، مرت الأيام، وما تزال تمر :

إنا لنفرح بالأيام نقطعها وكل يوم مضى يدني من الأجل

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: يا ابن آدم إنما أنت أيام، كلما مضى منك يوم مضى منك بعضك.

فاحرصوا عباد الله على استغلال أوقات العمر وسويعته، فالمرء بين يدي الله يسأل عن هذا الوقت، فيم قضاة، كيف استغله، قال عليه الصلاة والسلام: ((لن تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به)).

والشباب جزء من الوقت، لكن لما كان الشباب زمن القوة والنشاط، زمن الحيوية والعمل، خص بالسؤال في الحديث: ((وعن شبابه فيما أبلاه)).

إذا كان الأمر كذلك، فلنقدم لنا عملاً نلقاه عند الله شافعاً لنا، وويل ثم ويل لمن أهدر وقته في الملهييات والضياع واللهو، فأضاع ديناه وآخرته، ثم يوم القيامة يكون مع الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر:37]. قال الله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر:37].

: عباد الله

إياكم والاعتذار بالدنيا فإنها ظل زائل، تضحك مرة، وتبكي مرات، تفرح مرة، وتحزن مرات، وهي سجن المؤمن، وجنة الكافر، ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ الْأُمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:24].

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، فالיום عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

اشغلوا أنفسكم في هذه الإجازة بخير، عليكم بحلق القرآن والذكر، عليكم بمطالعة الكتب النافعة، عليكم ببر الوالدين وصلة الأرحام وأعمال البر، فإنها خير ما .. تعمّر به الأوقات والإجازات